Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمسحوقة، وتقديمها (وهي في منتهى البراءة والعفة والأخلاق) على أنها مذنبة، والذنب هنا، هو ما نصادفه في كل أعمال (كافكا) يعني شيئاً واحداً هو عدم الاختيار الصحيح للمكان الذي تعيش فيه الشخصيات كما قال ماكس برود، ولهذا أرى أن كتابات (كافكا) كانت أمراً من الأمور المشجعة جداً على الهجرة اليهودية إلى فلسطين (بعدما توضحت معالمها كوطن وكأرض ميعاد في كتب هرتزل، ومنشورات المؤتمرات اليهودية، وأدبيات البيوت اليهودية التي استقطبت الشبيبة اليهودية، ورجال الأعمال بعامة) في أعقاب الحرب العالمية الأولى والثانية، أي الهجرة إلى المكان الصحيح كاختيار وحيد يلبي أغراضاً مختلفة وطموحات متعددة.

أن (المسخ) قصة ناجحة بكل ماتعنيه هذه الكلمة، فهي مترابطة في محاكماتها الإبداعية، ومتماسكة في حلقاتها الفصصية، وراعبة في قولاتها وهواجسها، ومؤسية في خاتمتها، ولهذا كله كان تأثيرها واسع الطيف والنفاذ، على عكس الكثير من أعمال (كافكا) المشغولة بمحاكماته عقلية لا أدبية، فأفكارها أكثر من أدبها، وروحها البحثية أوسع من روحها الأدبية أو الإبداعية، تلك النصوص القابضة بصلادة على الكثير من الغموض والعبثية.

إن سلوك (غريغور سامسا) في (المسخ) له دلالة، والقسوة، والاستسلام، والانتظار، والاستجابة، والعزلة، وحالة التيبس...كلها لها دلالات لا تحتاج إلى كبير عناء لتفكيك معانيها ومعرفتها؛ إنها اختزال لواقع معيش يعرفه (كافكا) جيداً، رُمّز له بالشخصية اليهودية المفردة (غريغور سامسا) لكي يعني الفرد والمجموع معاً، فالإذلال قيمة أساسية في هذه القصة، وتواطؤ الجميع (كسلط متنوعة، مختلفة في رؤاها وحجومها)، على إذلاله، هو بالضبط ماقصد إليه (كافكا)، والإذلال هنا ليس إذلالاً جسدياً فقط، أي التحول إلى خنفساء أو صرصار، وإنما هو الإذلال النفسي والروحي لـ (غريغور سامسا) فعلى الرغم من كل التقديمات التي يقوم بها (سامسا) من أجل سعادة الأسرة (المجتمع والسلطة معاً) لا يقابل إلا بالإهانات المتكاثرة؛ وهذا التحور الخنفسائي يصير بالتقادم تحولاً حشرياً لا هوية له، وشيئاً مرذولاً غير قابل للعودة إلى التكوين الإنساني الأول.

إن مايؤكد عليه (كافكا) في (المسخ أو التحول) هو هذا المتواري المتمثل في ضرورة الخروج من شرنقة الأسرة ودورتها الحياتية المذلة، والأسرة ليست إلا التعبير الجمعي عن المجتمع والسلطة في وقت واحد؛ ولهذا يرى أحد نقاد